(سورة طه)

{ طه } { مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ } { إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ }
{ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى }
{ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ }

{ طه } الطاء إشارة إلى الطاهر، والهاء إلى الهادي. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم من شدّة حنوه وتعطفه على قومه لكونه صورة الرحمة ومظهر المحبة، تأسّف من عدم تأثير التنزيل في إيمانهم واستشعر البقية كما ذكر في قوله:

{ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ }[الكهف، الآية:٦].

وزاد في الرياضة فكان يحيي الليالي بالتهجد وبالغ في القيام حتى تورّمت قدماه فأخبر أن عدم إيمانهم ليس من جهتك بل من جهتهم وغلظ حجابهم أعدم استعدادهم لا لبقاء صفات نفسك أو بقية أنائيتك أو وجود نقصك وقصورك في الهداية كما استشعرت فلا تتعب نفسك.

ونودي باسمين من أسماء الله تعالى دالين على نزاهته عن الأمرين المذكورين وجود البقية أو القصور عن الهداية فقيل: يا طاهر عن لوث البقية، يا هادي { ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى } وتتعب بالرياضة لكن لتذكير من يلين قلبه ويستعدّ لقبوله بعد صفائك وطهارتك وقد حصل الأمران بحمد الله وكنت كاملاً مكملاً. وما المقصود بالرياضة إلا هذان الأمران اللذان ظهرا فيك تجلينا عليك بالاسمين المذكورين فلم تتعب نفسك وإنما لم يحصل الاهتداء بهدايتك لقسوة القلوب التي هي ضدّ الخشية واللين الذي هو شرط في حصوله لا لقصورك.

ويجوز أن يكون قسماً لا نداء، أي: أقسم بالاسمين اللذين يربه بهما ويتجلى بهما له لإفادة التزكية والتخلية إذ المقصود بالإنزال حصول أثرهما فيك لا التعب والمشقة وقد حصل فلا تفرط في الرياضة، ولهذا المعنى سمي آل محمداً: آل طه، أي بحصول المعنيين لهم وظهور مسمى الاسمين فيهم { تنزيلاً ممن خلق الأرض } إلى قوله:

{ له الأسماء الحسنى } معناه: أنزلناه تنزيلاً ممن اتّصف بجميع الصفات الجمالية والجلالية فكان لذاتك نصيب من جميعها وإلا لما أمكنك قبوله

وحمله إذ الأثر الوارد لا بد وأن يناسب المورد كما ناسب المصدر، فلما كان مصدره الذات الموصوفة بجميع الأسماء الحسنى وجب أن يكون مورده الذي هو ذاتك كذلك موصوفة بها، فكما خلق السموات العلا والأرض أي: عالم الأرواح وعالم الأجسام الذي هو الجسم المطلق وجعلها حجب جلاله الساترة لجماله كذلك حجبك بسموات طبقات غيوبك من الحجب السبعة المذكورة التي هي روحانيتك ومراتب كمالك وأرض شهادتك التي هي بدنك.

{ الرحمن } أي: ربّك الجليل، المحتجب بحجب المخلوقات لجلاله، هو الجميل، المتجلي بجمال رحمته على الكل، إذ لا يخلو شيء من الرحمة الرحمانية وإلا لم يوجد. ولهذا اختصّ الرحمن به دون الرحيم لامتناع عموم الفيض للكل إلا منه، فكما استوى على عرش وجود الكل بظهور الصفة الرحمانية فيه وظهور أثرها أي: الفيض العام منه إلى جميع الموجودات فكذا استوى على عرش قلبك بظهور جميع صفاته فيه ووصول أثرها منه إلى جميع الخلائق، فصرت رحمة للعالمين وصارت نبوّتك عامة خاتمة فمعنى الاستواء: ظهوره فيه سوياً تاماً إذ لا يطابق كلها مظهر غيره فلا يستوي ولا يستقيم إلا عليه، ولذلك لم يكن له عليه السلام ظل إذ لم يبق من ذاته مع صفاته بقية لم تتحقق بالحق بالبقاء بعد الفناء التام.

{ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ }

{ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى }

{ ٱللَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ ٱلأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ }

{ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ }

{ إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ ٱمْكُثُواْ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى } { فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰ }

{ إِنِّي أَنَاْ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى }

{ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى}

{ له ما في السموات } إلى قوله: { وما تحت الثرى } بيان لشمول قهره وملكته للكل، أي: كلها تحت ملكته وقهره وسلطنته وتأثيره لا توجد ولا تتحرك ولا تسكن

ولا تتغير ولا تثبت إلا بأمره وكذلك فنيت بالكلية مقهورة بوحدانيته وفناء قهاريته لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش ولا تمشي إلا به وبأمره.

{ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى } بيان لكمال لطفه أي: علمه نافذ في الكل يعلم ظواهرها وبواطنها والسر وسر السر، فكذلك إن تجهر وإن تخفت فيعلمه بجهر وبخفت ولما كانت الصفات المذكورة هي الأمهات التي لا صفة إلا تحت شمولها ولا اسم إلا كان مندرجاً في هذه الأسماء المذكورة ولم تتكثر الذات بها، قال: { الله } أي: ذلك المنزل الموصوف بهذه الصفات هو الله { لا إله إلا هو } لم تتكثر ذاته الأحدية وحقيقة هويته بها ولم يتعدّد، فهو هو في الأبد كما كان في الأزل لا هو إلا هو ولا موجود سواه باعتبار واحديته ومصدريته لما ذكر { له الأسماء الحسنى } التي هي ذاته مع اعتبار تعيينات الصفات { إذ رأى ناراً } هي روح القدس التي ينقدح منها النور في النفوس الإنسانية رأها باكتحال عين بصيرته بنور الهداية { فقال لأهله } القوى النفسانية { امكثوا } اسكنوا ولا تتحرّكوا إذ السير إنما يصير إلى العالم القدسي ويتصل به عند هذه القوى البشرية من الحواس الظاهرة والباطنة الشاغلة لها { إني آنست ناراً } أي: رأيت ناراً { لعلي آتيكم منها بقبس } أي: هيئة نورية اتصالية ينتفع بها كلكم فيتنوّر وتصير ذاته فضيلة { أو أجد على النار } من يهديني بالعلم والمعرفة الموجب للهداية إلى الحق أي: اكتسب بالاتصال بها الهيئة النورية أو الصور العلمية { فلما أتاها } أي: اتصل بها { نودي } من وراء الحجب النارية التي هي سرادقات العزة والجلال المحتجبة بها الحضرة الإلهية { يا موسى إني أنا ربّك } محتجباً بالصورة النارية التي هي أحد أستار جلالي تجلياً فيها { فاخلع نعليك } أي: نفسك وبدنك أو الكونين لأنه إذا تجرّد عنهما فقد تجرّد عن الكونين أي: كما تجرّدت بروحك وسرّك عن صفاتهما وهيئاتهما حتى اتصلت بروح القدس وتجرّد بقلبك وصدرك عنهما بقطع العلاقة الكلية ومحو الآثار والفناء عن الصفات والأفعال. وإنما سماهما نعلين ولم يسمهما ثوبين لأنه لو لم يتجرّد عن ملابسهما لم يتصل بعالم القدس والحال حال الاتصال، وإنما أمره بالانقطاع إليه بالكلية كما قال:

{ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً }[المزمل، الآية:٨]

فكأنه بقيت علاقته معهما والتعلق بهما يسوّخ قدمه التي هي الجهة السفلية من القلب المسماة بالصدر، فهما بعد التوجه الروحي والسري نحو القدس، فأمره بالقطع عنهما في مقام الروح، ولهذا علل وجوب الخلع بقوله:

{ إنك بالواد المقدّس طوىً } أي: عالم الروح المنزّه عن آثار التعلق وهيئات اللواحق والعلائق المادية المسمى طوى، لطيّ أطوار الملكوت وأجرام السموات والأرضين تحته.

{ إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلا أَنَاْ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ لِذِكْرِي }

{ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ }

{ فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ }

وكرر { إنني أنا الله } بالتأكيد، وتبديل الربّ بالله لئلا يقف مع الصفات في الحضرة الأسمائية فيحتجب عن الذات إذ الرب هو الاسم الذي تجلى به له، إذ لا يريه عند طلب الهداية والقبس إلا بذلك الاسم العليم الهادي الذي هو جبريل، أي: إنني الواحد الموصوف بجميع الصفات { لا إله إلا أنا } لم أتكثر ولم يتعدد أنائيتي وأحديتي بكثرة المظاهر وتعدّد الصفات { فاعبدني } خصّص عبادتك بذاتي دون أسمائي وصفاتي بالعبادة الذاتية وتهيئة استعداد فناء الأنية في حقيقتي والتسبيح المطلق الذاتي { وأقم الصلوة } أي: صلاة الشهود الروحي لذكر ذاتي فوق صلاة الحضور القلبي لذكر صفاتي.

{ إنّ الساعة } القيامة الكبرى بالفناء المحض في عين الأحدية { آتية أكاد أخفيها } باحتجابي بالصفات لتنفصل المراتب وتظهر النفوس والأعمال { لتجزى كل نفس } بحسب سعيها من الخير والشرّ، ويتميز الكمال والنقصان والسعادة والشقاوة فلا أظهرها إلا لأفراد خواصيّ واحداً بعد واحد لأني إن أظهرتها ظهر فناء الكل فلا نفس ولا عمل ولا جزاء ولا غير ذلك.

{ فلا يصدّنك عنها } فتبقى في حجاب الصفات { من لا يؤمن بها } لقصور استعداده فيقف في بعض المراتب محجوباً إما بالصفات أو الأفعال أو الآثار أو الأنداد، أي: الشرك الخفيّ والجليّ { واتّبع هواه } في مقام النفس أو القلب، فإن الهوى باق ببقاء الأنائية فتهلك أنت كما هلك من صدّك.

{ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰمُوسَىٰ }
{ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ }
{ قَالَ أَلْقِهَا يٰمُوسَىٰ } { فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ }
{ قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلأُولَىٰ }

{ وما تلك بيمينك يا موسى } إشارة إلى نفسه، أي: التي هي في يد عقله إذ العقل يمين يأخذ به الإنسان العطاء من الله ويضبط به نفسه.

{ قال هي عصاي أتوكأ عليها } أي: أعتمد في عالم الشهادة وكسب الكمال والسير إلى الله والتخلق بأخلاقه عليها، أي: لا يمكن هذه الأمور إلا بها

{ وأهشّ بها على غنمي } أي: أخبط أوراق العلوم النافعة والحِكَم العملية من شجرة الروح بحركة الفكر بها على غنم القوى الحيوانية { ولي فيها مآرب أخرى } من كسب المقامات وطلب الأحوال والمواهب والتجليّات. وإنما سأله تعالى لإزالة الهيبة الحاصلة له بتجلي العظمة عنه وتبديلها بالأمن، وإنما زاد الجواب على السؤال لشدّة شغفه بالمكالمة واستدامة ذوق الاستئناس.

{ قال ألقِها يا موسى } أي: خلها عن ضبط العقل { فألقاها } أي: خلاها وشأنها مرسلة بعد احتظائها من أنوار تجليات صفات القهر الإلهي

{ فإذا هي حيّة تسعى } أي: ثعبان يتحرّك من شدّة الغضب، وكانت نفسه عليه السلام قوية الغضب، شديدة الحدّة، فلما بلغ مقام تجليات الصفات كان من ضرورة الاستعداد حظه من التجلي القهري أوفر كما ذكر في (الكهف)، فبدل غضبه عند فنائه في الصفات بالغضب الإلهي والقهر الرباني فصور ثعباناً يتلقف ما يجد.

{ قال خذها } أي: اضبطها بعقلك كما كانت { ولا تخف } من استيلائها عليك وظهورها فيكون ذنب حالك بالتلوين، فإن غضبك قد فنى، فيكون متحرّكاً بأمري وليس هو مستوراً بنور القلب في مقام النفس حتى يظهر بعد خفائه { سنعيدها سيرتها الأولى } أي: ميتة، فانية، صائرة إلى رتبة القوّة النباتية التي لا شعور لها ولا داعية، ولإماتته عليه السلام إياها في تربية شعيب صلوات الله عليه وجعله إياها كالقوى النباتية سميت عصاً، ولهذا قيل:

وهبها له شعيب عليه السلام.

{ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ }

{ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا ٱلْكُبْرَىٰ } { ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ }

{ واضمم يدك إلى جناحك } أي: اضمم عقلك إلى جانب روحك الذي هو جناحك الأيمن لتتنوّر بنور الهداية الحقانية، فإن العقل بموافقة النفس وانضمامه إليها وإلى جانبها الذي هو الجناح الأيسر لتدبير المعاش يتكدر ويختلط بالوهم فيصير كدراً جاسياً لا يتنوّر ولا يقبل المواهب الربانية والحقائق الإلهية، فأمر بضمه إلى جانب الروح ليتصفى ويقبل نور القدس { تخرج بيضاء } منورة بنور الهداية الحقانية وشعاع النور القدسي { من غير سوء } أي: آفة ونقص ومرض من شوب الوهم والخيال { آية أخرى } صفة منضمة إلى الصفة الأولى { لنريك } من آيات تجليات صفاتنا الآية { الكبرى } التي هي الفناء في الوحدة، أي: لتكون ببصرك في مقام تجليات الصفات، فنريك من طريقها وجهتها ذاتنا عند التجلي الذاتي، فتبصرنا بنا في القيامة الكبرى.

{ اذهب إلى فرعون إنه طغى } بظهور الأنائية، فاحتجب بها فتعدّى عن حدّ العبودية. وذلك يدل على أن النبوّة والرسالة غير موقوفة على الفناء الذاتي لأن الدخول في الأربعينية التي تجلى فيها له بالذات كان بعد هلاك فرعون، وهذه الرسالة والدعوة إنما كانت في مقام تجلي الصفات. ويقوي هذا ما قلنا مراراً: إن أكثر سير النبي صلى الله عليه وسلم كان بعد النبوّة والوحي والاهتداء بالتنزيل.

{ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي }{ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي }{ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي }

{ يَفْقَهُواْ قَوْلِي } { وَٱجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي } { هَارُونَ أَخِي }

{ ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي } { وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي } { كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً }

{ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً } { إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً }

{ ربّ اشرح لي صدري } بنور اليقين والتمكين في مقام تجلي الصفات لئلا يضيق بإيذائهم، ولا تتأذى وتتألم نفسي بطعنهم وسفاهتهم، فكما أتكلم بكلامك معهم أسمع بسمعك كلامهم وأجده كلامك، وأرى ببصرك إيذاءهم وأجده فعلك، فلا أرى ولا أسمع ما يقابلونني به إلا منك، فأصبر على بلائك بك ولا تظهر نفسي برؤيتها منهم، فتحتجب بصفاتها وصفاتهم عن صفاتك { ويسر لي أمري }

أي: أمر الدعوة بتوفيقهم لقبول دينك وإمدادي على المعاندين من نصرك وتأييد قدسك { واحلل عقدة } من عقد العقل والفكر المانعين عن إطلاق لساني بكلامك والجراءة والشجاعة على تصريح الكلام في تبليغ رسالتك وإعلاء كلمتك وإظهار دينك على دينهم بالحجة والبينة في مقابلة جبروتهم وفرعنتهم رعاية لمصلحة خوف السطوة { يفقهوا قولي } لتليينك قلوبهم والخشوع والخشية فيها وتأييد إياي من عالم القدس والأيد.

وباقي القصة لا يقبل التأويل فإن أردت التطبيق فاعلم أن موسى القلب يسأل الله تعالى بلسان الحال أن يجعل هارون العقل الذي هو أخوه الأكبر من أبيه روح القدس له وزيراً يتقوّى به ويستوزره في أموره ويعتضد برأيه مشاركاً معاوناً له في اكتساب كمالاته معللاً طلبه بقوله: { كي نسبّحك } أي: بالتجريد عن صفات النفس وهيئاتها { ونذكرك } باكتساب المعارف والحقائق والحضور فى المكاشفات ومقام تجليات الصفات { كثيراً إنك كنت بنا } أي: باستعدادنا لقبول الكمال وأهليتنا له { بصيراً } فأعنا واجعلنا متعاونين على ما ترى منا وتريد.

{ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُوسَىٰ} { وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ }
{ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ } { أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي}
{ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يٰمُوسَىٰ }

{ قد أوتيت } أعطيت { سؤلك } ووفقت لتحصيل مطلوبك. { ولقد مننا عليك مرة أخرى } قبل إرادتك وطلبك بمحض عنايتنا { إذ أوحينا إلى أمّك } النفس الحيوانية { ما يوحى } أي: أشرنا إليها { أن أقذفيه } في تابوت البدن أو الطبيعة الجسمانية { فاقذفيه } في يمّ الطبيعة الهيولانية { فليلقه اليمّ } عند ظهور نور التمييز والرشد بساحل النجاة { يأخذه عدوّ } النفس الأمّارة الجبارة الفرعونية

{ وألقيت عليك محبّة مني } أي: أحببتك وجعلتك محبوباً إلى القلوب وإلى كل شيء حتى النفس الأمّارة والقوى، ومن أحببته يحبه كل شيء { ولتصنع } وتربى على كلاءتي وحفظي فعلت ذلك.

{ إذ تمشي أختك } العاقلة العملية عند ظهورها وحركتها { فتقول } للنفس الأمّارة والقوى المنعطفة عليه { هل أدلكم } بالآداب الحسنة والأخلاق الجميلة على أهل بيت من النفس اللوّامة وقواها الجزئية بفوات قرّة عينها

{ على من يكفله } لكم بالتربية بالفكر والإرضاع بلبان الحكمة العملية والعلوم النافعة وهم له ناصحون معاونون على كسب الكمال، مرشدون إلى الأعمال الصالحة، معدّون للترقي إلى المرتبة الرفيعة { فرجعناك إلى أمك } المشفقة عليك التي هي النفس اللوّامة اللائمة لنفسها بتضييع قرّة عينها ليحصل اطمئنانها بنور اليقين وتتهذب بالحكمة العملية وترضع منها اللبن المذكور وتتربى في حجر تربيتها بالمدركات الجزئية والآلات البدنية والأعمال الزكية { كي تقرّ عينها }

أي: تتنوّر بنورك { ولا تحزن } على فوات قرّة عينها ونقصها.

{ وقتلت نفساً } أي: الصورة الغضبية المسوّلة لك بالرياضة والإماتة { فنجيناك } من غمّ استيلاء النفس الأمّارة وإهلاكها إياك { وفتناك } ضروباً من الفتن بظهور النفس وصفاتها والرياضة والمجاهدة في دفعها وقمعها وإماتتها وتزكيتها

{ فلبثت سنين في أهل مدين } العلم من القوى الروحانية عند شعيب العقل الفعال { ثم جئت على قدر } على حد من الكمال المقدّر بحسب استعدادك أو على شيء مما قدّرته لك، أي: بعض ما قدر لك من الكمال التام الذي هو التجلي الذاتي الذي سيوهب لك بعد كمال الصفات.

{ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي }

{ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي }

{ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ }

{ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ }

{ قَالاَ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ }

{ قَالَ لاَ تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ }

{ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُم
قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلاَمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰ }

{ واصطنعتك لنفسي } أي: استخلصتك لنفسي وجعلتك من جملة خواصي من بين أهل مدينة البدن، ولما فيك من الخصال الشريفة والأهلية لخلافتي.

{ اذهب أنت وأخوك } إلى آخر القصة، إن أريد تطبيقها قيل: اذهب يا موسى القلب أنت وأخوك العقل { بآياتي } حججي وبيّناتي ولا تفترا { في ذكري }

{ إلى فرعون } النفس الأمّارة الطاغية المجاوزة حدّها بالاستعلاء والاستيلاء على جميع القوى الروحانية { فقولا له قولاً ليناً } بالرفق والمداراة في دعوتها إلى الاستسلام لأمر الحق والانقياد لحكم الشرع.

لعلها تلين فتتعظ وتنقاد. ولما خافا طغيانها وتفرعنها لتعوّدها بالاستعلاء، شجعهما الله بالتأييد والإعانة والمحافظة والكلاءة والإحاطة بما يقاسيانه ويكابدانه منها، وأمرهما بتبليغ الرسالة في تطويعها وتسخيرها وإلزامها الامتناع عن استعباد القوى الحيوانية.والكفّ عن تسخيرها، وأن يرسلها معهما في التوجه إلى الحضرة الإلهية واستفاضة الأنوار الروحية القدسية والمعارف الحقيقية ولا يعذبها في تحصيل اللذات الحسيّة والزخارف الدنيوية { قد جئنات بآية } ببرهان دال على وجوب متابعتك إيانا.{ والسلام } أي: السلامة من النقائص والنجاة من العلائق والفيض النوري من العالم الروحي { على من اتّبع } البرهان وتمسك بالنور الإلهي.

{ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ }

{ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يٰمُوسَىٰ }

{ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ }

{ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلأُولَىٰ }

{ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى }

{ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً
وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ }

{ كُلُواْ وَٱرْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ }

{ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ }

{ إنّا قد أوحي إلينا أنّ العذاب } في جحيم الطبيعة وهاوية الهيولى على من خالفه وأعرض عنه { فمن ربّكما } إشارة إلى احتجاب النفس من جناب الربّ، وقوله: { ربنا الذي أعطى } هداية لها بالدليل وتبصيراً بالحجة،

أي: أعطاه خلقاً على وفق مصالح ذاته وآلات تناسب خواصه ومنافعه ومقاصده وهداه إلى تحصيلها { فما بال القرون الأولى } إشارة إلى احتجابها عن المعاد والأحوال الأخروية من السعادة والشقاوة وعن إحاطة علم الله تعالى لها. ولما كان الواجب الأول معرفة الله تعالى بصفاته وكانت معرفة المعاد موقوفة عليها أجاب بإحاطة علمه بها وبأحوالها مع كثرتها وكون ذلك العلم مثبتاً في اللوح المحفوظ باقياً أزلاً وأبداً، لا يجوز عليه الخطأ والنسيان.

{ الذي جعل لكم } أيها القوى البدنية أرض البدن { مهداً وسلك لكم فيها سبلاً } من الأعضاء والجوارح كالعين والأذن والأنف وغيرها { وأنزل } من سماء الروح ماء الإدراك والمدد الروحاني { فأخرجنا به } أصنافاً من الإدراكات والأفاعيل والخواص والهيئات والملكات المخصوصة بكل قوة منكم { كلوا } اغتذوا وتقووا بما يختص بكم من الأحوال والأخلاق والأمداد والمواهب كالرضا والصبر وعلم الأسماء والخواص والأعداد وسائر الإدراكات والإرادات والمقامات { وارعوا أنعامكم } القوى الحيوانية بما يختص بها من الأخلاق والآداب { منها خلقناكم } أنشأناكم على حسب اختلاف أمزجة الأعضاء التي هي مظاهرها { وفيها نعيدكم } بإماتة عند الرياضة حتى يلازم كل محله ويندس فيه لا حراك به ولا يتطلب التجاوز عن حدّه والاستيلاء على غيره بمحو صفات النفس حتى الفناء

{ ومنها نخرجكم تارة أخرى } عند البقاء بالحياة الموهوبة الحقيقية فتعتدل حركاتها وتفضل ملكاتها.

{ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ }

{ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يٰمُوسَىٰ }

{ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنتَ مَكَاناً سُوًى }

{ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى }
{ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ }
{ قَالَ لَهُمْ مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ } { فَتَنَازَعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ }
{ قَالُواْ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ }

{ أريناه آياتنا } من الحجج والبينات الدالة على التجرّد عن المواد ووجود الأنوار { فكذب } لكونها مادة { وأبى } القبول لامتناع إدراكها للمجرّدات وأنكر إزعاجها عن وكرها البدني بقوله: { أجئتنا لتخرجنا من أرضنا } ونسب البرهان إلى السحر لقصورها عن إدراكه وعجزها عن قبوله وأغرى القوى التخيلية والوهمية على المعارضة والمجادلة وقلما أذعنت النفس للبرهان النير والحق البين بدون الرياضة والإماتة، وكلما أورد عليها حرّضت الوهم والتخيل على التشكيك والقدح.

والموعد هو وقت تركيب الحجة وترتيب المقامات وذلك وقت زينة النفس الناطقة بالمدركات وحشر القوى العقلية والروحانية لاستحضار المعلومات والمخزونات { ضحىً } إشراق نور شمس العقل الفعال إذ هناك تعرض النفس عن قبولها ويجمع كيدها من أنواع المغالطات والوهميات ويقمعها القلب باليقينيات وإظهار أكاذيبها المفتريات. والتنازع الواقع بين القوى النفسانية هو عدم مسالمتها في طاعة القلب وانجذاب كل منها إلى لذته متمانعة متخالفة. وإسرارها النجوى استبطان الكل الدواعي المخالفة للقلب مع تخالفها في أنفسها. ونسبتها إلى السحر إشارة إلى عجزها عن إدراك معانيها وخفاء براهينها عليها. والطريق المثلى، أي: الفضلى عندها هي تحصيل اللذات الحسيّة والانهماك في الشهوات البدنية. وإلقاؤها أولاً إشارة إلى تقدّم الوهميات والخياليات في الوجود الإنساني على العقليات واليقينيات عند السلوك وإلا ما احتيج إلى البرهان القاطع والدليل الواضح وإلى أن الواجب على الداعي إلى الحق أولاً نقض الباطل ودفع الشبهة بالحجة ليزول الاعتقاد الفاسد ويتمكن استقرار الحق. والحبال والعصيّ هي المغالطات والسفسطات من الشبهة الجدلية التي تكاد تتمشى وتغلب على

القلب لولا تأييد الحق بنور الروح والعقل وهو معنى قوله:

{ لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ }

[طه، الآية:٦٨ - ٦٩] العاقلة النظرية من البرهان المعتمد عليه يفن مصنوعاتهم المزخرفة وأباطيلهم المموّهة، فتضمحلّ وتتلاشى. إنما صنعوا كيد تزوير ومكر لا حقيقة له لا ما صنعت كما زعموا، فألقي السحرة سجداً فانقادت حينئذ القوى الوهمية والخيالية والتخييلية والحسية عند ظهور عجزها والنفس الأمارة ثابتة في تفرعنها وعتوّها لعدم ارتياضها واعتيادها بمألوفاتها وترأسها على القوى وتجبرها، باقية على عنادها وشدّة شكيمتها. { ولأقطعنّ } إشارة إلى إبعادها وتخويفها للقوى عند إذعانها يمنع تصرّفاتها في المعايش وترك سعيها في تحصيل الملاذ والمشتهيات الجسمانية من جهة مخالفتها إياها بموافقة القلب. وصلبها في جذوع النخل: إيقافها بالإماتة عند الرياضة في حدّ القوى النباتية وإثباتها في مقارّها ومبادىء نشأتها من أعالي مراتب القوى النباتية دون التصرّف في سائر المراتب والاستعلاء على المناصب والاستيلاء في المكاسب، أو من الأعضاء التي هي معادنها ومظاهرها. وهذا التخويف على هذا التأويل من قبيل أحاديث النفس وهواجسها بسبب اللمات الشيطانية المثبطة عن المجاهدة لقوله تعالى:

{ إِنَّمَا ذٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ }[آل عمران، الآية:١٧٥]

ليفيد إعراضها عن مطاوعة القلب وقيامها بخدمتها وتسخرها لها ولو حمل على المباحثة الظاهرة المستفادة من قوله تعالى:

{ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[النحل، الآية:١٢٥]

بعد التصديق بالظاهر والإيمان بالإعجاز الباهر لأجرى قوله:

{ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ }[طه، الآية:٤٢] على ظاهره إلى قوله:

{ فَتَنَازَعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ } [طه، الآية:٦٢]

أي: تباحثوا فيما بينهم في السر، متنازعين فيما يعارضونه به من ضروب الجدل. وقيل في قوله:

{ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ } [طه، الآية:٦٣]

مفلقان في البيان والفصاحة والاحتجاج لا يكاد يعارضهما أحد فيحجّهما.

{ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ }
{ قَالُواْ يٰمُوسَىٰ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ }
{ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ }
{ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ }
{ قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلأَعْلَىٰ }
{ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُواْ
إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ }
{ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ }
{ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ
فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ
وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ }

{ فأجمعوا كيدكم } أي: اتّفقوا فيما تبارزونهما به فتكونوا متفقي الكلمة متعاضدين { فإذا حبالهم وعصيهم } أي: تخيلاتهم ووهمياتهم { يخيل إليه من سحرهم } في التركيب والبلاغة وحسن التقرير وتمشية المغالطة والسفسطة وهيئة ترتيب القياس الجدلي كأنها تسعى، أي: تمشي { خيفة } عن غلبة الجهّال ودولة الضلال، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

« لم يوجس موسى خيفة على نفسه، إنما خاف من غلبة الجهّال ودولة الضلال ».

{ قلنا لا تخف } شجعناه وأيّدناه، بروح القدس { وألق ما في يمينك }

أي: ما في ضبط عقلك من النفس المؤتلفة بشعاع القدس المضيئة بنور الحق

{ تلقف ما صنعوا } ما زخرفوا وزوّروا من الشبهات والتمويهات الباطلة والأباطيل المزخرفة بالحجج النيرة والبراهين الواضحة { إنما صنعوا } وتلقفوا { كيد ساحر } أي: تمويه وتزوير { فألقي السحرة سجداً } منصفين مذعنين مقرين بكونه على الحق لما عرفوا من صدق البينة وظهور المعجزة وقيام الحجة وجلية البرهان { قالوا آمنا } الإيمان اليقيني لأنهم كوشفوا بالحق فعرفوا ربوبيته للكل، وإنما

أضافوا الربّ إليهما مع تعميم الإضافة إلى العالمين لزيادة اختصاصهما به وفضل ربوبيته إياهما، فإنه يربّ كل شيء باسم يناسبه ويقتضيه استعداده ويربهما بأكبر أسمائه الحسنى على حسب كمال استعدادهما ولظهوره فيهما بكمالات صفاته وتجليه عليهم فيهما بآياته، فعلموا أنهم من شكوتهما عرفوا ما عرفوا، وبوسيلتهما وصلوا إلى ما وصلوا، وبتبعيتهما وجدوا ما وجدوا، لا على سبيل الاستقلال.

واعلم أن الساحر أقرب الناس استعداداً من النبي لأن مبادىء خوارق العادات أمور ثلاثة: إما خواص التركيب وتمزيجات المواد العنصرية والصور وجمع الأخلاط المختلفة المزاج والجوهر وهو من باب النيرنجات.

وإما جمع القوى السماوية والأرضية بإعداد الصور السفلية والمواد العنصرية لاستجلاب فيض النفوس السماوية واتصالها بقوى الأجرام الأرضية وهو من باب الطلسمات، وإما تأثير النفوس وهيئاتها المستفادة من العالم العلوي وهو من الكامل المبعوث للنبوّة القائم بالدعوة إعجاز ومن الواصل المحق المترقي إلى ذروة الولاية غير المبعوث للنبوّة كرامة .

والفرق بينهما أن الإعجاز مقارن للتحدّي والمعارضة دون الكرامة ومن المقبل على الدنيا المعرض عن العالم الأعلى سحر، فكانت نفس الساحر في بدء فطرتها قوية مخصوصة بهيئات مؤثرة في هذا العالم وأجرامه إلا أنها أعرضت عن مبدئها بالركون إلى العالم السفلي وانقطعت عن أصل القوى والقدر ومنبع التأثير والقهر بالميل إلى عالم الطبع، فلا يزال يضعف ما فيها من الهيئة النورية والشعاع القدسي كما لا يزال يزداد في نفس النبيّ والوليّ بالإقبال على الحق والائتلاف بنور القدس والتأييد بالقوة الملكوتية والتوجه إلى الحضرة الإلهية ولا جرم ينكسر من النبيّ حين عارضه وينقمع بنفسه إذا قابله،

فهو أعرف الناس بالنبيّ عند عجزه وإنكاره وأقبل الخلق لدعوته وأنواره، وأسبقهم إلى الإقرار به لكونه أقربهم في الاستعداد إليه ما لم يبطل استعداده الأول بالكلية ولم يغلب عليه دين الطبيعة السفلية.

{ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَـٰذِهِ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَآ }

{ إِنَّآ آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ }

{ لـن نؤثـرك } كلام صـادر مـن عظـم الهمـة الحاصلـة للنفـس بقـوة اليقـين، إذ قـوة اليقـين في القلـب تـورث النفـس عظـم الهمـة وهـو عـدم مبالاتهـا بالسـعادة الدنيويـة والشـقاوة البدنيـة واللـذات العاجلـة الفانيـة والآلام الحسـيّة في جنـب السـعادة الأخرويـة واللـذة الباقيـة العقليـة، ولهـذا اسـتخفوا بهـا واسـتحقروها بقولهـم:

{ إنمـا تقـضي هذه الحياة الدنيـا }.{ ليغفر لنا خطايانا }

أي: يسـتر بنـوره الهيئـات المظلمـة والصفـات الرديئـة التـي عرضـت لنفوسـنا بسـبب الميـل إلى اللـذات الطبيعيـة ومحبـة الزخـارف الدنيويـة

{ وما أكرهتنا عليه من السحر }

أي: معارضـة مـوسى لأنهـم لمـا عرفـوه بنـور اسـتعدادهم وعلمـوا كونـه عـلى الحـق، فاسـتعفوا عـن معارضتـه فأكرهـم اللعـين.

{ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَىٰ }
{ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ ٱلصَّالِحَاتِ فَأُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَاتُ ٱلْعُلَىٰ }
{ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ }
{ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي
فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي ٱلْبَحْرِ يَبَساً لاَّ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَىٰ }
{ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ }
{ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ }

{ مـن يـأت ربّـه } في القيامـة الصغـرى مجرمـاً مثّقـلاً بالهيئات البدنيـة المميلـة إلى الأجرام الطبيعيـة { لا يمـوت فيهـا } بالمـوت الطبيعـي، فـلا يشـعر بـالآلام { ولا يحيـى } بالحيـاة الحقيقيـة فينجـو مـن تبعـات الآثـام.

{ ومـن يأتـه مؤمنـاً } بالإيمـان اليقينـي{ قـد عمـل الصالحـات } مـن الفضائـل النفسـانية المزكيـة للنفـوس{ فأولئـك لهـم الدرجـات العـلى }

من جنات الصفات بحسـب درجات ترقيهم في الكمالات.{ أن أسر بعبادي }

في ظلمة صفات النفوس وليل الجسمانية { فاجعل لهم طريقاً } من التجريد في بحر عالم الهيولى { يبساً } لا تصل إليه نداوة الهيئات الهيولانية ورطوبة المواد الجسمانية { لا تخاف دركاً } لحوقاً من البدنيين المنغمسين في غواشي الطبيعة الظلمانية { ولا تخشى } غلبتهم عليكم واستيلاءهم،

فإنهم مقيدون محبوسون فيها، قاصرون عن شأنكم { فأتبعهم } لإهلاكهم دينهم بالانغماس في الطبيعيات فغشيهم من يم القطران ما غشيهم من الهلاك السرمدي والعذاب الأبدي، والتطبيق قد مرّ غير مرة.

{ يٰبَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ } { كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ } { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ }

{ وواعدناكم جانب } طور القلب { الأيمن } الذي يلي روح القدس وهو محل الوحي الذي يسمونه الروع والفؤاد { ونزّلنا عليكم } من الأحوال والمذاهب من الذوقيات وسلوى العلوم والمعارف من اليقينيات { كلوا من طيبات ما رزقناكم } أي: تغذوا تلك المعارف الطيبة وتقبلوها بقلوبكم فإنها سبب حياتها { ولا تطغوا فيه } بظهور النفس وإعجابها بنفسها عند استشراقها ورؤيتها بهجتها وكمالها وزينتها { فيحلَ عليكم } غضب الحرمان وآفة الخذلان { فقد هوى } سقط عن مقام القرب في جحيم النفس واحتجب عن نور تجلي صفات الجمال في ظلمات الاستتار وأستار الجلال.

{ وإني لغفّار } لستّار صفات النفس الطاغية الظاهرة بتزييناتها واستغنائها بأنوار صفاتي { لمن تاب } عن تظاهرها واستيلائها، واستغفر بانكسارها وانقماعها ولزومها ذلّ فاقتها وافتقارها { وآمن } بأنوار الصفات القلبية وتجليات الأنوار الإلهية { وعمل صالحاً } في اكتساب المقامات كالتوكل والرضا والملكات المانعة من التلوينات بالحضور والصفاء { ثم اهتدى } إلى نور الذات وحال الفناء.

{ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَومِكَ يٰمُوسَىٰ }
{ قَالَ هُمْ أُوْلاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ }
{ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ }
{ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَٰنَ أَسِفاً
قَالَ يٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ
أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِي }
{ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ
فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ }
{ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ
فَقَالُواْ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ }
{ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً }
{ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ
وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُواْ أَمْرِي }
{ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ }
{ قَالَ يٰهَرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ }
{ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي }
{ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ
أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي }
{ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يٰسَامِرِيُّ } { قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي }

{ وما أعجلك عن قومك } - إلى قوله - { في اليم نسفاً } معناه على التحقيق: أنّ موسى عليه السلام لما شرّف بمقام المكالمة وأوتي كشف الصفات وبعث لإنقاذ بني إسرائيل وإرشادهم إلى الحق وُعد شريعة يسوس بها قومه، فاستخلف

هارون على قومه وتخلى للمراقبة قبل تثبتهم على الإيمان وتقريرهم على الحق بالإيقان، فعوقب على تلك العجلة وإن كانت من غاية الشوق إلى المشاهدة. واقتضاء المقام عدم التفرّغ إلى تكميل الغير لأن في تكميلهم بالمعرفة اليقينية والكمال العلمي ثبات قدمه في الطاعة وامتثال الأمر المستلزم للترقي في الحال، فاعتذر بكونهم على متابعته في الدين وإن لم تبن معاملتهم على أساس اليقين والتعجيل، إنما بدر منه لطلب مقام الرضا الذي هو كمال الفناء في الصفات وهو استحكام مقام التجلي الصفاتي الذي منه المكالمة، وإنما ابتلاهم الله بالسامري ليتميز المستعدّ القابل للكمال بالتجريد من القاصر الاستعداد المنغمس في الموادّ الذي لا يدرك إلا المحسوس ولا يتنبّه للمجرد المعقول.

ولهذا قالوا: { ما أخلفنا موعدك بملكنا } أي: بأن ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا، فإنهم عبيد بالطبع لا رأي لهم ولا ملكة وليسوا مختارين بل مطبوعون مسوسون مقودون بدنيون لا طريق لهم إلا التقليد والعمل، لا التحقيق والعلم.

وإنما استعبدهم بالطلسم المفرع من الحلي لرسوخ محبة الذهب في طباعهم لكون نفوسهم سفلية منجذبة إلى الطبيعة الذهبية، وتجلي تلك الصورة النوعية فيها للتناسب الطبيعي وكان ذلك من باب مزج القوى السماوية بالقوى الأرضية ولذلك قال: { بصرت بما لم يبصروا به } من العلم الطبيعي والرياضي اللذين يبتنى عليهما علم الطلسمات والسيميات.

{ فقبضت قبضة من أثر الرسول } وهي على ما قيل: تراب موطىء حافر الحيزوم الذي هو فرس الحياة مركب جبرائيل، أي: مما اتصل به أثر النفس الحيوانية الكلية السماوية المسخّرة للعقل الفعال، المتأثرة منه، الحاملة لصفاته التي هي بمثابة مركبه لاستعلائه عليها ووصول تأثيره إلى الطبائع العنصرية والأجرام السفلية بواسطتها من الأوضاع التي تفيض بسببها الآثار على المواد، فتنفعل منها بحسب الاستعداد وتقبل الأحوال الغريبة التي هي بمثابة تراب موطىء مركبه { فنبذتها } فطرحتها على الجرم المذاب عند الإفراغ في صورة العجل وذلك من تسويل النفس الشيطانية الشريرة.

{ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ وَٱنظُرْ إِلَىٰ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفاً }

وقوله: { فاذهب } صادر عن غضبه عليه السلام وطرده إياه، وإنما يجب حلول العذاب من غضب الأنبياء والأولياء لأنهم مظاهر صفات الله تعالى، فكل من غضبوا عليه وقع في قهره تعالى وشقى في الدنيا والآخرة، وعُذّب بعذاب الأبد، وذاق وبال العمل، وكانت صورة عذابه في التحرّز عن المماسة نتيجة بُعده عن الحق في الدعوة إلى الباطل.

وأثر لعن موسى عليه السلام إياه عند إبطال كيده وإزالة مكره. وعلى التطبيق: إنّ القلب إذا سبق له كشف وجذبه الاجتهاد والسلوك وحصل عنده الكمال العلمي الكشفي دون العلمي الكسبي، يكون في معرض عتاب الحق عند التعجل إلى الشهود والحضور، ذاهلاً عن أمر الشريعة والمجاهدة، ويجب أن يردّ إلى العمل والرياضة لسياسة القوى واكتساب مقام الاستقامة، إذ لا يقوى هارون العقل الذي هو خليفته على قومه القوى الروحانية والجسمانية على تدبيرهم وتقويمهم وتسديدهم بدون الرياضة والمجاهدة والمواظبة على الطاعة والمعاملة، فينبعث سامريّ القوى النفسانية من الحواس ويوقد عليها نار حبّ الشهوات، ويطرح عليها شيئاً من أمداد الطالع بحسب الأوضاع المخصوصة، أي: التي تأثرت من تأثير النفس الحيوانية التي هي فرس الحياة، فيمثل الطبيعة بصورة العجل المفرغ في قالب الموادّ الذي همّه الأكل والشرب ودأبه اللذة والشهوة دون العمل والسعي بالإثارة والتعب كما أشير إليه، وينتفخ فيه روح الهوى فيحيا ويتقوّى ويصيح ذا خوار، فيعبده جميع القوى ويتخذه إلهاً، وكلما نبههما العقل المؤيد بنور القلب على ضلالها وفتنتها ودعاها إلى الحق ومتابعة الرأي العقلي وطاعته، خالفته حتى يرجع إليها القلب المنوّر بنور الحق، المؤيد بتأييد القدس، غضبان لله تعالى أسفاً على ضلالها وتفرّقها في الدين، ويعيّرها ويعنفها بلسان النفس اللوّامة، ويأخذها بالوعد والوعيد، ويذكرها طول العهد من قرب الربّ بمقتضى الخلقة والنشأة والسقوط عن

الفطرة، ويخوّفها باستحقاق الغضب والسخطة عن نسيان العهد وإخلاف الوعد حين الإقرار بالربوبية عند ميثاق الفطرة، فلا ينجع فيها القول إذا صارت مأسورة في أسر الهوى، منقادة لسلطان التخيّل، مستسلمة للردى، ولا طريق إلا خرق الطبيعة الجسدانية بمبرد المجاهدة وإحراقها بنار الرياضة ونسفها برياح نفحات الرحمة الإلهية التي إذا هبّت بها لاشت في يمّ الهيولى الجرمية لا حياة بها ولا حراك بعد تغير القوّة العاقلة بعد متابعتها للقلب ومشايعتها للسر في التوجه، وبوجود موافقتها للقوى في الميل إلى الطبيعة والأخذ برأسها إلى جهتها العادية التي تلي الروح بتأثير النور فيه حتى تنفعل وتتأثر بشعاع القدس ونور الهداية الحقانية ولحيتها التي هي الهيئة الذكورية وصورة التأثير فيما تحت، أي: جهتها السفلية التي تلي القوى النفسانية. وجرها إليه، أي: الجهة العلوية وجناب الحق وعالم القدس الذي هو فيه، فيتقوى بالأيد الإلهي والقدرة الربانية وجولانها فتؤثر فيها وتطوعها بأمر الحق لها وللقلب، ويستخلصها من قهر التخيّل والوهم.

{ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً }

{ كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً }

{ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وِزْراً }

{ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حِمْلاً }

{ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقاً }

{ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً }

{ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً }

وذلك مقام الاستقامة إلى الله والقيام بحقائق العبودية لله، ولا تتجلى ناصية التوحيد ولا يحصل مقام التجرّد والتفريد إلا به، ولذلك عقبه بقوله:

{ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو } إذ يكون السالك قبل ذلك مصلياً إلى قبلتين، متردّداً في العبادة بين جهتين، متخذ الإلهين { وسِعَ كل شيء علماً } أي: يتحقق هناك التوحيد بالفعل، وتظهر إحاطة علمه بكل شيء وحدوده

وغاياته فتقف كل قوّة بنور الحق وقدرته على حدّها في عبادته وطاعته عائذة به عن حولها وقوّتها، عابدة له بحسب وسعها وطاقتها، شاهدة إياه، مقرّة بربوبيته بقدر ما أعطاها من معرفته: مثل ذلك القصص { نقص عليك من أنباء ما قد سبق } من أحوال السالكين الذي سبقوا، ومقاماتهم لتثبيت فؤادك وتمكينك في مقام الاستقامة كما أُمرت { وقد آتيناك من لدنا ذِكْراً }

أي: ذِكْراً ما أعظمه وهو: ذكر الذات الذي يشمل مراتب التوحيد.

{ من أعرض عنه } بالتوجه إلى جانب الرجس وحيز الطبع والنفس

{ فإنه يحمل يوم القيامة } الصغرى وزر الهيئات المثقلة الجرمانية، وآثام تعلقات المواد الهيولانية.{ يوم ينْفخ } الحياة { في الصور } الجسمانية، بردّ الأرواح إلى الأجساد { ونحشر المجرمين } الملازمين للأجرام { زرقاً } عمياً، بيض سواد العيون، أو شوهاً في غاية قبح المناظر، يحسن عندها القردة والخنازير، يسرون الكلام لشدّة الخوف أو عدم القدرة على النطق، ويستقصرون مدة اللبث في الحياة الدنيوية لسرعة انقضائها وكل من كان أرجح عقلاً منهم كان أشدّ استقصاراً إياها.

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً }

{ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً } { لاَّ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً }

{ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ ٱلأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً }

{ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً }

{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً }

{ ويسألونك عن الجبال } أي: وجودات الأبدان { فقل ينسفها ربي } برياح الحوادث رميماً ورفاتاً ثم هباء منثوراً، فيسوّيها بالأرض لا بقية منها ولا أثر. أو حوادث الأشياء فقل: ينسفها ربّي برياح النفحات الإلهية الناشئة عن معدن الأحدية { فيذرها } في القيامة الكبرى { قاعاً صفصفاً } وجوداً أحدياً صرفاً { لا ترى فيها } إثنينية ولا غيرية، فتقدح في استوائها.

{ يومئذ } يوم إذ قامت القيامة الكبرى { يتّبعون الداعي }

الذي هو الحق، لا حراك بهم ولا حياة لهم إلا به { لا عوج له } أي: لا انحراف عنه ولا زيغ عن سمته إذ هو آخذ بناصيتهم وهو على صراط مستقيم، فهم يسيرون بسيرة الحق على مقتضى إرادته { وخشعت الأصوات } انخفضت كلها لأن الصوت صوته فحسب { فلا تسمع إلا همساً } خفيّاً، باعتبار الإضافة إلى المظاهر.

أو يوم إذ قامت القيامة الصغرى { يتبعون الداعي } الذي هو إسرافيل مدّبر الفلك الرابع، المفيض للحياة، لا ينحرف عنه مدعوّ إلى خلاف ما اقتضته الحكمة الإلهية من التعلق به.

{ وخشعت الأصوات } في الدعاء إلى غير ما دعا إليه الرحمن فلا تسمع إلا همس الهواجس والتمنيات الفاسدة و { لا تنفع الشفاعة } أي: شفاعة من تولاّه وأحبّه في الحياة الدنيا ممن اقتدى به وتمسك بهدايته { إلاّ مَن أذن له الرحمن } باستعداد قبولها، فإنّ فيض النفوس الكاملة التي تتوجه إليها النفوس الناقصة بالإرادة والرغبة موقوفة على استعدادها لقبوله بالصفاء وذلك هو الإذن { ورضي له قولا } أي: رضي له تأثيراً يناسب المشفوع له، فتتوقف الشفاعة على أمرين: قدرة الشفيع على التأثير، وقوة المشفوع له للقبول والتأثر.

وهو { يعلم } الجهتين { ما بين أيديهم } من قوّة القبول بالاستعداد الأصلي وتأثير الشفيع بالتنوير { وما خلفهم } من الموانع العارضة من جهة البدن وقواه، والهيئات الفاسقة المزيلة للقبول الأصلي أو المعدات الحاصلة من جهتها بالتزكية على وفق العقل العملي.

{ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً }

{ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً }

{ وَكَذٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً }

{ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً }

{ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً }
{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ }
{ فَقُلْنَا يآءَادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ
فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ }
{ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَىٰ }
{ وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَىٰ } { فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَانُ
قَالَ يٰآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ }
{ فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ
عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ }
{ ثُمَّ ٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ }
{ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم
مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ }

{ وعنت الوجوه } أي: الذوات الموجودات بأسرها { للحيّ القيوم } وكلها في أسر مملكته وذلّ قهره وقدرته، لا تحيا ولا تقوم إلا به لا بأنفسها ولا بشيء غيره. { وقد خاب } عن نور رحمته وشفاعة الشافعين من ظلم نفسه بنقص استعداده وتكدير صفاء فطرته، فزال قبوله للتنوّر باسوداد وجهه وظلمته. { ومن يعمل من الصالحات } بالتزكية والتحلية { وهو مؤمن } بالإيمان التحقيقي { فلا يخاف } أن ينقص شيء من كمالاته الحاصلة ولا أن يكسر من حقه الذي يقتضيه استعداده الأصلي في المرتبة { لعلهم يتّقون } بالتزكية { أو يحدث لهم ذكراً } بالتحلية.

{ فتعالى الله } تناهى في العلوّ والعظمة بحيث لا يقدر قدره ولا يغدر أمره في ملكه الذي يعلو كل شيء ويصرفه بمقتضى إرادته وقدرته في عدله الذي يوفي كل أحد حقه بموجب حكمته { ولا تعجل } عند هيجان الشوق لغاية الذوق بتلقي العلم اللدني عن مكمن الجمع { من قبل } أن يحكم بوروده عليك

ووصوله إليك، فإن نزول العلم والحكمة مترتب بحسب ترتب مراتب ترقيك في القبول. ولا تفتر عن الطلب والاستفاضة فإنه غير متناه، واطلب الزيادة فيه بزيادة التصفية والترقي والتحلية، إذ الاستزادة إنما تكون بدعاء الحال ولسان الاستعداد، لا بتعجيل الطلب والسؤال قبل إمكان القبول. وكلما علمت شيئاً زاد قبولك لما هو أعلى منه وأخفى. وقصة آدم وتأويلها مرّت غير مرة { ألاّ تجوع فيها ولا تعرى } إذ في التجرّد عن ملابسة الموادّ في العالم الروحاني لا يمكن تزاحم الأضداد ولا يكون التحليل المؤدّي إلى الفساد بل تلتذ النفس بحصول المراد آمنة من الفناء والنفاد.

{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ أَعْمَىٰ }

{ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً }

{ قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنْسَىٰ }

{ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ }

{ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ }

{ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى }

{ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَآءِ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ }

{ ومن أعرض عن ذِكْري } بالتوجه إلى العالم السفلي بالميل النفسي، ضاقت معيشته لغلبة شحه وشدّة بخله، فإنّ المعرض عن جناب الحق ركدت نفسه وانجذبت إلى الزخارف الدنيوية والمقتنيات المادية لمناسبتها إياها، واشتدّ حرصه وكَلَبَه عليها ونهمه وشغفه بها لقوّة محبته إياها للجنسية والاشتراك في الظلمة والميل إلى الجهة السفلية، فيشحّ بها عن نفسه وغيره، وكلما استكثر منها ازاد حرصه عليها وشحّه بها وذلك هو الضنك في المعيشة.

ولهذا قال بعض الصوفية: لا يعرض أحد عن ذكر ربّه إلا أظلم عليه وتشوّش عليه رزقه. بخلاف الذاكر المتوجّه إليه فإنه ذو يقين منه وتوكل عليه في سعة من عيشه ورغد، ينفق ما يجد ويستغنى بربّه عما يفقد.

{ ونحشره يوم القيامة } الصغرى على عماه من نور الحق كقوله:

{ وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ }[الإسراء، الآية:٧٢]

وإنكاره لعماه إنما يكون بلسان الاستعداد الأصلي والنور الفطري المنافي لعماه من رسوخ هيئة الحبّ السفلي والعشق النفسي بالفسق الجرمي ونسيان الآيات البينات والأنوار المشرقات الموجب لإعراضه تعالى عنه وتركه فيما هو فيه { ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى } من ضنك العيش في الدنيا لكونه روحانياً دائماً.

{ ولولا كلمة سبقت } أي: قضاء سابق أن لا يستأصل هذه الأمّة بالدمار والعذاب في الدنيا لكون نبيهم نبيّ الرحمة، وقوله:

{ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ }[الأنفال، الآية:٣٣]

لكان الإهلاك لازماً لهم. { فاصبر } بالله{ على ما يقولون } فإنك تراهم جارين على ما قضى الله عليهم، مأسورين في أسر قهره ومكره بهم { وسبّح }

أي: نزّه ذاتك بتجريدها عن صفاتها متلبساً بصفات ربّك، فإن ظهورها عليك هو الحمد الحقيقي { قبل طلوع } شمس الذات حال الفناء { وقبل غروبها } باستتارها عند ظهور صفات النفس،

أي: في مقام القلب حال تجلي الصفات، فإن تسبيح الله هناك محو صفات القلب { ومن آناء الليل }

أي: أوقات غلبات صفات النفس المظلمة والتلوينات الحاجبة { فسبّح } بالتزكية { وأطراف } نهار إشراق الروح على القلب بالتصفية { لعلك } تصل إلى مقام الرضا الذي هو كمال مقام تجلي الصفات وغايته.

{ وَلاَ تَمُـدَّنَّ عَيْنَيْـكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجـاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُـمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ }

{ وَأْمُـرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلاَةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْـأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ }

{ وَقَالُواْ لَوْلاَ يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ }

{ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ }

{ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَـتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ ٱلصِّرَاطِ ٱلسَّـوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ }

{ ولا تمـدنّ عينيـك } في التلوينـات النفسـية وظهـور النفـس بالميـل إلى الزخـارف الدنيويـة، فإنهـا صـور ابتـلاء أهـل الدنيـا { ورزق ربّـك } مـن الحقائـق والمعـارف الأخرويـة والأنـوار الروحانيـة { خـير وأبقـى } أفضـل وأدوم { وأمـر أهلـك } القـوى الروحانيـة والنفسـانية بصـلاة الحضـور والمراقبـة والانقيـاد والمطاوعـة { واصطـبر } على تلك الحالة بالمجاهدة والمكاشـفة { لا نسـألك } لا نطلب منك { رزقاً } من الجهة السـفلية كالكمالات الحسيّة والمدركات النفسـية { نحن نرزقك } مـن الجهـة العلويـة المعـارف الروحانيـة والحقائـق القدسـية { والعاقبـة } التـي تعتـبر وتسـتأهل أن تسـمى عاقبـة للتجـرّد عـن الملابـس البدنيـة والهيئـات النفسـانية { أو لم تأتهـم بينـة مـا في الصحـف الأولى } مـن الحقائـق والحِكَـم والمعـارف اليقينيـة الثابتـة في الألـواح السـماوية والأرواح العلويـة، واللـه تعـالى أعلـم.